



AMERICAN
UNIVERSITY
OF BEIRUT

حفل التخرج للعام 2024 علاء أبو شقرا

مساء الخير جميعاً.

كانت الساعة تناهز الثانية صباحاً، في إحدى الليالي العاصفة، منذ ثماني سنوات، وأنا جاثم خلف كومة صغيرة من الحجارة أحرس نقطتي أثناء معسكر المدرسة الحربية اللبنانية. من خلال منظار بندقيتي، رأيت بعض الأشكال المظلمة في البعيد تشق طريقها نحو موقعي. راقبت هذه الظلال المتحركة لعدة دقائق محاولاً أن أقرر ما إذا كنت سأطلق النار أم لا.

أراهن أنكم لم تتوقعوا مني أن أقول ذلك. حسناً، منذ ثماني سنوات، لم أكن أتوقع أن أتحدث إليكم الليلة. إن وراء كلِّ واحد منا قصة فريدة من نوعها. قصة ذات ظروف مختلفة، وحبكة مختلفة، وطاقم مختلف من الشخصيات. قصة يمكن لكل واحد منا، في هذه اللحظة بالذات، أن يتخيلها بشكل مختلف، يتذكر صعودها وهبوطها، أوقاتها الجيدة والسيئة، أفراسها وأحزانها. لكن كل هذه النسخ المتنوعة من القصص، تصل الليلة إلى نهايتها المشتركة. وهذا في حد ذاته بداية فصل جديد، وقصة جديدة، وأمل جديد.

أتذكر نفسي أتقدم بطلب للالتحاق بالجامعة الأميركية في بيروت قبل عامين. جامعة طالما سمعت عنها باعتبارها وجهة للتعليم المحترف، وبيئة للتطور المستمر. ومع ذلك، لم أكن متأكدًا. كطالب تلقى تعليمه في فرنسا وحاصل على شهادة البكالوريوس في العلوم السياسية، وكملازم يخدم في قوى الأمن الداخلي اللبناني، كان الالتحاق ببرنامج الماجستير هذا خياراً صعباً.

غزت الشكوك والأسئلة عقلي: كيف أنجح في الالتزام بدراستي بالتوازي مع أدائي لوظيفتي؟ كيف يمكنني دمج خلفيتي الأمنية والمعرفة المكتسبة في الجامعة الأميركية في بيروت؟ كيف يمكنني الوصول إلى نسخة أفضل من نفسي وفي الوقت ذاته أفيد المجتمع الذي أنتمي إليه؟

وبدون أن أحصل على إجابات واضحة لأسئلتني، اتخذت خطوتي الأولى داخل هذا الحرم الجامعي الجميل... متسلحاً بالأمل ومدعوماً من منحة من الجامعة الأميركية في بيروت مخصصة للقوات المسلحة اللبنانية، بدأت رحلتي الأكاديمية.

في قسم العلوم السياسية والإدارة العامة قمت بالتعمق في دراسة السياسات العامة والشؤون الدولية. لقد كنت شغولاً بسبر هذا المجال ومحاولة تفكيك تعقيداته السياسية وديناميكياته الاجتماعية وسياقاته

التاريخية. غطى بحثي مواضيع معاصرة، من إصلاح قطاع الأمن وتنظيم المجتمع إلى التنمية الأمنية المستدامة، وأضاف كل هذا بعداً نظرياً قوياً إلى خلفيتي الأمنية العملية.

تطبيق هذه المعرفة لمواجهة تحديات العالم الحقيقي مكّني من تنفيذ أساليب أكثر فعالية في تأدية الواجبات الموكلة إلي. هذا التآزر بين المساعي الأكاديمية والمسؤوليات المهنية لا يقدر بثمن، حيث سرّع نموي الشخصي وعزّز أدائي المهني، فيما ساهم أيضاً في بناء مجتمع أفضل وأكثر أماناً في لبنان.

إنني أتشارك قصتي لأنها، مثل قصة أي خريج آخر، تبقى جزءاً من التجربة الأوسع للجامعة الأميركية في بيروت. لقد علمتنا هذه التجربة، المتجدّرة في التاريخ منذ العام 1866، أنه مهما كانت الظروف، فإن التقدّم يظل ممكناً دائماً، مع وجود عقليّة هادفة. وأنا أقول هذا أيضاً، لأنني لا أعتقد أن الواقع موجود في حد ذاته. بدلاً من ذلك، أعتقد أن الواقع له طبيعة مبنية. إنها لا تتشكل من خلال أفعالنا ودوافعنا فحسب، بل أيضاً من خلال أفكارنا ومفاهيمنا. لذا فإن ما يميّز الأمل من اليأس، والنجاح من الفشل، والفهم من الآراء المسبقة، ما هو إلا مسألة إدراك.

اليوم، نغادر المكان الذي شعرنا فيه دائماً بالراحة والأمان. بكلمة أمان، لا أقصد الأمن الإنساني الذي نشهده بقوة في هذا الحرم الجامعي، ولا أقصد الأمن من حيث الهوية أو التكنولوجيا أو الرعاية المؤسسية. أعني ذلك الشعور بالأمن الأخلاقي غير الملموس الذي يتم الإحساس به في هذه البيئة الصحيّة من الحرية والاحترام. على مر السنين، أثبتت هذه البيئة أنها مكان لا تزدهر فيه العقول الحرة فحسب، بل مكان يصنع فيه قادة المستقبل أيضاً.

أيها الخريجون الأعزاء، أتقدّم بأحرّ التهاني لكم ولعائلاتكم. ولكن دعونا نضع في اعتبارنا جميعاً أن نهاية فصل ما هي الا مجرد بداية لفصل آخر. وفي فصولنا الجديدة، سنجد أهدافاً جديدة نسعى إليها، وأهدافاً جديدة لتحقيقها. ومع الشخصيات الجديدة التي بنيناها، ومع المعرفة التي اكتسبناها، تأتي أيضاً مسؤولية كبيرة تسألنا: ما هي الأدوار المستقبلية التي نريد أن نلعبها؟ وأي نوع من الناس نريد أن نكون؟ في الواقع، مهما كانت إجاباتنا، ومهما كانت المسارات التي نهدف إلى اتباعها في هذا العالم المتطوّر، هناك قرار واحد يتعين علينا جميعاً اتخاذه. هل سنسير على هذا الطريق باليأس؟ أم سنسير عليها بالأمل؟ الأمل الذي يجعلنا نقف في وجه الصعوبة ونتغلب على عدم اليقين. الأمل، الذي يجب أن يبقى في شرارة عيونكم رغم كل ما مرّت به هذه المدينة الجميلة، وهذا البلد الحبيب، وهذه المنطقة... ذلك الأمل الجريء، في تأثيركم الإيجابي، في قدرتكم على النهوض... والنهوض من جديد، هو ما يضمن حقاً أن أياماً أكثر إشراقاً ستأتي بالتأكيد.

مجدداً أتقدم منكم بأطيب التهاني. وشكراً.